فريده الشوبا شي

رساله إلى انشتاين

ألقت نظرة على قطعة الصابون الموضوعة فوق الحوض .. ترددت في رفعها .. تطلعت الى المرآة .. زادت الشعيرات البيضاء في رأسها .. واحدة .. اثنتان .. ثلاث .. عشر .. عشرون .. الف .. اتى اليها صوت الآلة الحاسبة التي تعمل عليها بسرعة هائلة .. جاء صوتا .. ثم طنينا .. ثم هديرا .. كل التروس تعمل معا .. وحوش صغيرة ضارية .. لا يمنعها صغر حجمها من الفتك بقوة هائلة .. صرخت الوحوش « عدد الشعر يقدر بالملايين » .. فلتحص الشعيرات البيضاء نسبة الى شعرها الاسود .. كفى .. لا تريد أن تعرف عدد شعيراتها البيضاء .. ولا عدد السنوات التي حملتها الى رأسها .. أمسكت بقطعة الصابون تخرس بها صوت الماكينة الحاسبة .. أدارت قطعة الصابون بين كفيها تصنع بها رغاوي .. فقاعات كبيرة .. ومتوسطة .. وصغيرة الحجم . الفقاعات الصغيرة اكثر عددا .. عشرة .. مائة .. مليون .. عاد الطنين يصم أذنيها .. مدت يديها سريعا تحت خيط الماء المنساب .. قطع تيار الكهرباء عن الماكينة لحظات .. هدأت الوحوش الضارية .. أو .. جبنت .. عادت تملأ كفيها بالصابون وهي مغمضة العينين ، حتى لا تعود الى عد الفقاعات .. أخذت تملس على وجهها وعيناها لا تزالان مغمضتين .. لحم بجنيه .. طماطم بعشرة قروش .. بطاطس بستة . علا صوت الماكينة .. دمدم في خلايا مخها وهي تلهث وراءه .. زبد بعشرة قروش .. بصل بسبعة قروش .. ثوم بـ ... فتحت عينيها والصابون يملأهما .. سالت دموعها بغزارة .. توقف صوت الماكينة الحاسبة فجأة .. تدفقت دموعها وكأنها تأتي من نبع بحر لا قرار له .. اغرقت وجهها بالماء الذي اختلط بقطرات دموعها الساخنة .. مدت يدها تسحب منشفة .. في حقيبة ابنتها ورقة تطالبها بدفع جنيه .. رسم اشتراك في رحلة مدرسية .. ارتعدت وصوت أمها يأتيها حاسما ، مخترقا سنوات وسنوات مضت : « من أين لي عشرون قرشا رسم اشتراك الرحلة ؟ » .. ابتسمت في سخرية .. كانت الرحلة ثلاثة أيام .. رحلة ابنتها يوم واحد لزيارة الاهرام والآثار .. لم يتصور صانعو حضارتنا القديمة ان بضاعتهم ستدر الملايين عبر القرون .. قد يكفي ما تحقق دخله من زيارة الآثار لبناء حضارة جديدة .. عشرة ملايين .. مليون مليون .. بدأت الحاسبة تعوي عواء مفزعا .. فهذه اول مرة تسألها في ملايين الملايين .. اندفعت مهرولة تحتمي من هول الرعد بالارتماء على مقعد قديم .. تزلزلت في جلستها وأخذت أنفاسها تتلاحق .. هدأ الزلزال والرعد .. أصبح صوتهما يأتي من بعيد .. لو أصبت بالصمم ! خفت حدة صوت الماكينة لكنه لا يزال مسموعا .. تطلعت الى جدران الغرفة الصماء .. تشير ساعة الحائط الى لحظة المغادرة للعمل .. لم تقو على النهوض .. مقدمة برامج تيلفزيونية قدمت منذ أيام نموذجا لميزانية تيلفزيونية .. أسرة من أربعة أشخاص دخلها عشرون جنيها .. قهقهت بصوت عال ووجهها لا يزال عابسا .. زوجها وهي دخلهما سبعون جنيها .. ايجار عشرة جنيهات .. كهرباء ثلاثة .. تليفون اربعة .. انبوبة الغاز جنيه .. بواب نصف جنيه .. هجمت تروس الماكينة لتفتك بأذنيها أولا .. رفعت يديها تحميهما في ذعر هستيري .. تطايرت الارقام من الماكينة في كل اتجاه .. أخذت تصيب كل قطعة من حواسها .. الايجار عشرة جنيهات .. الكهرباء خمسون .. تليفون مئة .. مقدمة التليفزيون تصدر حفيفا أشد كرها من صوت الارقام وأشد ايلاما .. وتصوب اليها نظرة جامدة، خالية من اي تعبير .. الكهرباء مليون جنيه .. الايجار خمسة قروش .. جنت الارقام فجأة .. الشعيرات البيضاء مليون .. فقاعات الصابون مليار .. خرجت الارقام تتراشق في جسدها المنهك .. خرجت كالنمل المفترس تقرض خلاياها .. تنخر فيها بشدة .. تأكل حتى نخاعها ..

باريس في اول يونيو ١٩٧٦